السياق ودوره في توجيه المعنى

إعداد

عبد العاطي عبد المجيد محمود موسى

المُلخّص

تناولت هذه الدراسة – السياق ودوره فى توجيه المعنى ، وذلك وفق المنهج التحليلي الوصفي.

وقد تناولت في هذه الدراسة الدلالة السياقية. .

٢- مفهوم السياق .

٣- رواد نظرية السياق .

٤- معنى الكلمة عند السياقيين .

٥- أنماط السياق .

٦- مميزات المنهج السياقي.

Summary

This study deals with the context and its role in guiding meaning, a stylistic study according to an analytical and descriptive approach, using different linguistic branches.

Context is considered one of the expressions used by ancient grammarians with its general linguistic meaning, and it did not carry the idiomatic concept that has become common among modern linguists, especially in determining the meaning

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك الملك والملكوت ، المتفرّد بالعزّة والجبروت ، سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

والصلاة والسلام على بدر التمام ، ومبعوث الهداية لكافة البشر والأنام ، المبعوث بالرحمة الربانية ، والمُرْسَل من العناية الإلهية ، لنشر النور والرحمة لكل بني آدم ؛ سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه وسلم.

أمـــا بـــــعـــــد ،،

فإن للسياق دور حاسم في فهم النصوص وتحديد مقصود الألفاظ وتوجيه معانيها لذا تبوأ مكاناً بارزاً في التراث العربي والدراسات اللغوية الحديثة. كما أن التعامل مع هذا الموضوع فيه متعة واشتياق لتشعبه وتشعب مصادره وتناوله لدقائق النحو واللغة مما يحتاج الى صبر وطول اناة وذلك للإحاطة بأجزاء الموضوع و مراجعه مجموعة وعلم الدلالة علم قديم حديث فقد كان موجوداً عند الرواد ومن اشهرهم ابن جني ت٣٩٢ والجرجاني ت ٤٧١ او ٤٧٤ ه [١] (في اشهر نظرية دلالية عرفها علم الدلالة على مدى تاريخ (الدراسات الدلالية وهي نظرية النظم التي جاء بها الجرجاني) وللفارابي في علم الكلام وجه من أوجه التداخل و التكامل بين الفلسفة (المشائية) و علم الكلام في إطار فلسفة إسلامية ذات محاور متعددة ، مع ضرورة الإشارة إلى أن علاقة الفارابي بعلم الكلام [٢] وعلم الدلالة شأنه شأن العلوم العربية الاخرى ظل يسير بتمهل في العصور المتعاقبة بسبب الظروف التي مرت بها البلاد العربية من غزوات مختلفة أثرت في الدارسين العرب وجعلتهم ينحازون الى الدراسات اللغوية والنحوية البحتة وسبب ذلك واضحٌ جداً هو تمسكهم باللغة العربية ومحاولة دراستها وصيانتها حيث لا توجد لغة في كل لغات العالم كانت ولا زالت

---

(١) نظرية النظم عند عبد القاهر مجلة كلية اللغة العربية العدد ٩

(٢) إحصاء العلوم : أبو نصر الفارابي ، تحقيق و تقديم عثمان أمين ، القاهرة ، الطبعـــة الثالثـــة ١٩٦٨م ، .

موضع اهتمام ورعاية الدارسين مثل اللغة العربية وسبب ذلك واضحٌ وسهل وهو كون اللغة تستمد قدسيتها ورعاية الدارسين لها من كتاب الله العزيز. وللسياق وغيره من القرائن يكشف عن غوص المعني أو يوجهه لأن من قال أن اللغة لا تعرف إلا نقلا فقد أخطا فإنها تُعلم بالقرائن أيضا (١) ، ومن أجل ذلك أهتم العلماء بنظرية السياق كثيراً واستندوا عليها في تحليل الخطاب وفهم النص ، وإذا كان اهتمام الغرب قد ظهر متأخراً فإن علماءنا القدامى قد اهتموا بالسياق منذ وقت مبكر ووظفوه في فهمهم لمعاني الألفاظ في النص العربي عموما وما يتصل بالدين كالقرآن والحديث خصوصاً .

وتهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على أهمية السياق ودوره الكبير فى توجيه المعنى ، كما تهدف هذه الدراسة إلى إبراز عنصر السياق الذي يغير المعني ويرمي به إلى غاية أبعد مما كان عليه خلال النظرة السطحية للألفاظ .

وأما عن سبب اختياري لهذا الموضوع فهو أن للسياق في توجيه المعاني اثر كبير في فهم المفردات والمعنى العام ، ولما له من غوصٍ في المعاني والكشف عن الأسرار الكامنة خلفها .

أما عن المنهج المتبع فهو المنهج التحليلي الوصفي .

وقد تناولت هذه الدراسة :

١- الدلالة السياقية :-

المقام (السياق) الذي يقال فيه الكلام ، وتوصل فيه الرسالة يعد من الجوانب التي راعتها تعريفات البلاغة ؛ فنجد القزويني (٧٣٩هـ) تمييزاً بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلّم، ويحدّ كل منهما على حدة ، فيعرّف بلاغة الكلام بقوله : " هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته " (٢) .

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق محمد أحمد المولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ م ، ج١ .

(٢) الإيضاح للقزويني ، ٩ .

فالقزويني يركّز هنا على جانب السياق ، وما يتواءم معه من ألفاظ مناسبة تقتضي وصول الرسالة تامة في جانب من الفصاحة لا ينبو عنها . لكن السياق الذي يذهب إليه القزويني هو سياق الموقف وهو استخدام خاص لدلالة السياق عند البلاغيين حين التمييز بين سياق النص ، وسياق الموقف أو المقام ، أو كما يسمّى عند البلاغيين (مقتضى الحال) .

ولمفهوم السياق تعريف عند السجلماسي (بعد ٦٠٠ هـ) [١] فهو " ربط القول بغرض مقصود على القصد الأول " ، وذلك عند حديثه عن الإيجاز بالحذف المسمّى عند أهل البلاغة (الاكتفاء) .

فالسياق Context هو القاعدة الداخلية التي ينحرف عنها الأسلوب ، إذ تتحدد أي ظاهرة أسلوبية بكونها خروجاً أو تحولاً عن النمط السائد في السياق . ويمكن تحديد هذه الظاهرة الأسلوبية في نص ما بموضوعية عن طريق رصد نقاط التحوّل في مسار السياق في هذا النصّ. والسياق الأسلوبي نموذج لغوي يساعد على كشف ظواهر النص ، وذلك لأنّه لا يمكن أن نعوّل على استجابة القارئ للنص فقط في مسألة الكشف النصي .

وتنبع أهمية السياق من خلال الدور الذي يؤديه في فهم المعنى ، ذلك أنّ الكلمة تكتسب مدلولها من السياق ، وتتغيّر هذه الدلالة بتغيّره ، وإن كان هذا لا ينفي وجود دلالات للكلمة المفردة لو خلت منها لبطلت وظيفتها في السياق ، ومن ثم يأتي السياق ليحدّد أحد تلك الوظائف الدلالية للكلمة [٢] .

فمبحث السياق اتخذ عند البلاغيين نمطاً إجرائياً أثناء البحث في مفهوم الدلالة وأنواعها ، ومنطلقات تقسيمها وغير ذلك مما نجده في كتب أهل البلاغة .

---

(١) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، للسجلماسي ، ١٨٨.

(٢)الأسلوبية والنص الأدبي ، حسين بو حسون ١٢٧ .

غير أنه تلزم الإشارة إلى أنّ أولى الأفكار التي تناولت مفهوم السياق وردت في الدراسات الأصولية خاصة في كتاب (الرسالة) للإمام الشافعي (٢٠٤ هـ) حين عقد باباً في هذا الكتاب أسماه (باب الصنف يبيّن سياقه معناه) [١] .

كذلك نلمس عند الإمام السرخسي (٤٩٠هـ) في حديثه عن أقسام اللفظ من حيث الوضوح حين يقول بأنّه : " ما يزداد وضوحاً بقرينة تقترب باللفظ من المتكلّم ليس في اللفظ ما يوجب ذلك ظاهراً بدون تلك القرينة " ، وهذه القرينة المقصودة عنده تتمثّل في السياق الموضّح للغرض الذي سيق من أجله الكلام[٢] .

٢- مفهوم السياق :-

قبل الكلام على مفهوم السياق وأنواعه ودلالاته ، لابدّ من تحديد مفهوم المعنى السياقي والفرق بينه وبين المعنى المعجمي للكلمة ، فهما معنيان مُتقابلان ، إذ يُراد بالمعجمي المعنى الذي نَستقيه من المعجمات المختلفة ، ويُمثّل المعنى الوَضعي الأصلي للفظ ، الذي سُمّيَ المعنى المركزي أو الأساس . وهذا النوع من المعنى للكلمة معنى (عائم ضيّق) لكونه لا ينبئ عمّا في الكلمة المفردة من دلالات أوسع من معناها المعجمي .

أمّا المعنى السياقي فهو الذي يُستقى من النَظم اللفظي والمعنوي للكلمة وموقعها من ذلك النَظم ، أو من السياق العام للكلام ، إذ تخضَعُ الكلمة للعَلاقات المَعنويةّ والظروف الحاليّة والتعبيريّة المُحيطة بها ، التي يأتلِفُ بعضُها مع بعضٍ لتبيّن المعنى الخاص لتلك الكلمة ،الذي سُمّي الإضافي ، أو الهامشي ، أو ظلال المعنى .

والفارق الأساسي بين المعنيين ؛ المعجمي والسياقي هو تعدّد الأول وتحدّد الثاني، إذ لا يُعينُ الأوّل على تحديد البُعد الدَلالي للكلمة ؛ لأنّها تَحتمل أكثرَ من معنى ، وهو في الغالب معنى منفردٌ منفصلٌ يقوم على التَجريد ، أمّا الثاني فهو

---

(١) الرسالة ،الإمام الشافعي ، ٦٢ .

(٢) الأصول في الفقه ، السرخسي ، ١٦٤/١ .

معنى محدّدٌ تَحكُمُه عَلاقة الكلمة بكلِّ ما يُحيط بها من عَناصر لغويّة وغير لغويّة، خاصّة بالمُتكلّم والمُخاطَب ، ثقافية واجتماعية . ولذا فهو لا يَقبل التَعدُّد ، ففي كلّ سياق تكتسب الكلمة معنى مُحدّداً مُؤقتاً يُمثّل القيمة الحضوريّة لها ، التي تختلف من سياقٍ إلى آخر . لذا فإنّ المعاني السياقيّة للكلمة الواحدة تتعدّدُ بتعدّدِ السياقات التي تَرِدُ فيها .

وما يهمّنا هنا هو تناول مفهوم السياق وقيمته في الدلالة ؛ لأنّ النصّ في كلام المتكلم لا يوجد منفرداً عن بقية أجزاء الكلام ، بل هو مسوق معها سوقاً ، ليؤدي مجموع المعاني التي يريدها المتكلم من إنشاء هذا النص .

والسّياق هو الصّورة الكلّيّة التي تنتظم بداخلها الصّورَ الجزئيّةَ ، ولا يُفهَم كلّ جزء إلا في موقعه من «الكلّ» ، فالصّورةَ الكلّيّة تتكوّن من مجموعة كبيرة من النّقاط الصغيرة أو المتشابهة أو المتباينة ، التي تدخل كلها في تركيب الصورة .

وتشير المعاجم المتخصصة في علوم اللغة واللسانيات إلى مفهوم محدّد للسياق كما نجد ذلك في قاموس السيميائيات لغريماس وكورتيس إذ عرّفاه بأنه " مجموع النصوص التي تسبق أو تواكب وحدة تركيبية معيّنة ، وتتعلّق بها الدلالة ، حيث يمكن أن يكون السياق صريحاً أو لسانياً ، ويمكن أن يكون ضمنياً ، وفي هذه الحالة يتميّز بأنه سياق خارج لساني أو مقامي " .

أما قاموس اللسانيات لجون دي بوا فيحدد معنى السياق بأنه " المحيط ؛ أي الوحدات التي تسبق أو تلحق وحدة محدّدة ، ويسمى بالسياق الشفوي . أو هو مجموع الشروط الاجتماعية التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات القائمة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللساني . وغالباً ما تُحدّد هذه العلاقات بالسياق الاجتماعي لاستعمال اللغة ، ونحدّده أيضاً بقولنا : (المقام) ، وهو مجموع المعطيات المشتركة بين المتكلّم والمستمع في مقام ثقافي ونفسي لتجارب كلّ منهما "

وقد شغل الاهتمام بالمعنى المتخصصين كافةً على اختلاف ميادينهم ، وتظهر قضية المعنى عند العرب في اهتمامهم بالتعبير عن المعاني الأولى (المطروحة للجميع) ، بغية الوصول الى المعاني الثانية المتضمَّـــنة في بنية الخطاب الكلي . وهذا يتفق مع ما عناه بيير جيرو عند إيضاحه لأهمية السياق في الكشف

عن المعنى ، وإزالة الغامض فيه . يقول : " إنّ الغموض الذي يلف العلامة المتعدّدة الدلالات يزول حين توضع في سياقها " .

فالكلمة أو العلامة لا معنى لها في ذاتها لأنها قد تحتمل تغييرات دلالية كثيرة بحسب السياق الذي ترد فيه ، وهنا يأتي دور السياق ليحدّد الدلالة المقصودة ، ويزيل الغموض الذي يكتنفها في هذا المقام .

نظرية السياق

التعريف الاصطلاحي للسياق:-

بناء نصي كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة. و دائماً ما يكون السياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط بحيث يلقي ضوء لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها[١]

هذا التعريف يسمح لنا أن نقول أن السياق هو جوهر المعنى المقصود في أي بناء نصي أو كلامي فهو لا يلقي الضوء على الكلمة والجملة فقط وإنما على النص المكتوب والكلام المجمل من خلال علاقة المفردات بعضها ببعض في أي سياق من السياقات المختلفة.

٣- رواد نظرية السياق:-

عرفت مدرسة لندن بما سمي بالمنهج السياقي Contextual Approachأو المنهج العملي . Operational Approach [٢] وكان رائد هذا الاتجاه Firth الذي

---

(١) معجم المصطلحات الأدبية، إعداد: إبراهيم فتحي، دار شرقيات للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى

(٢) Scopeص٥، وMeaning and Styleص٥، ٨(بتصرف)

علم الدلالة تأليف: أحمد مختار عمر: أستاذ علم اللغة في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، الناشر عالم الكتاب ، الطبعة الثانية

وضع تأكيداً كبيراً على الوظيفة الاجتماعية للغة، كما ضم الاتجاه أسماء مثل : Hallidayو Mc Intosh، وSinclair ، و . Mitchell وعدَّ Lyons أحد التطورين الهامين المرتبطين بفيرث ((نظريته السياقية للمعنى))

٤- معنى الكلمة عند السياقيين :-

معنى الكلمة عند أصحاب نظرية السياق هو (استعمالها في اللغة) ،

أو ((الطريقة التي تستعمل بها)) أو ((الدور الذي تؤديه))

لاحظ مثلا الاستعمالات الآتية لكلمة ((دم)) في العاميات العربية : دمه فار –دمه بيغلي دمه ثقيل – دمه خفيف – دمه حار – دمه بارد .ماذا تلاحظ؟! تلاحظ في كلمة ((دم)) في كل سياق وردت فيه من تلك السياقات يلوح معنا جديدا ومختلفا عن غيره. ففي عبارة (دمه فار دمه بيغلي) نجد المعنى هو الغضب والعصبية، بينما في العبارة (دمه حار) المعنى مختلف تدل على رجل نشيط وحركي وعامل. ولكن في عبارة (دمه بارد) تدل على الرجل الكسول والخامل الذي لا يحب العمل وإذا عمل يعمل ببطء.

ولهذا يصرح رائد نظرية السياق فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة

٥- أنماط السياق:-

تتطلب دراسة معاني الكلمات عند أصحاب نظرية السياق تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغوي [١] . ولذلك اقترح k. Ammerتقسيماً للسياق ذو أربع شعب . وهذا التقسيم الذي اقترحه هو كالآتي:

النمط الأول: السياق اللغوي :-

هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة، عندما تتساوق مع كلمات أخرى، مما يكسبها معنى خاصاً محدداً. فالمعنى في السياق هو بخلاف المعنى الذي يقدمه المعجم، لأن هذا الأخير متعدد ومحتمل، في حين أن المعنى الذي

---

(١) مبادئ اللسانيات، ص٢٩٥، د. أحمد محمد قدور ، دار الفكر – دمشق، ط الثانية ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م

يقدّمه السياق اللغوي هو معنى معين له حدود واضحة وسمات محددة غير قابلة للتعدد أو الاشتراك أو التعميم [١]

أمثلة على السياق اللغوي:

عندما ترد كلمة ((عين)) في العربية – وهي من المشترك اللفظي – في سياقات لغوية متعدِّدة يتبين للدارس ما تحمله من معان مختلفة باختلاف كلِّ سياق ترد فيه. إنَّ كلَّ سياقٍ آتٍ ترد فيه كلمة ((عين)) يقدِّم معنىً واحداً تتجه إليه الأفهام وتترك ما سواه، فلا يقع أيّ اشتراك في السياق، فقولنا:

عين الطفل تؤلمه : العين هنا هي الباصرة ، في الجبل عين جارية: العين هي عين الماء.

العين الساحرة وسيلة لمعرفة الطارق: العين تدلُّ على منظار حديث يركب في الباب.

هذا عين للعدوّ : العين هنا الجاسوس. ، ذاك الرجل عين من الأعيان: العين هنا السيِّد في قومه وكذلك نجد أن كلمة (good) الإنجليزية تقع في سياقات لغوية متنوعة. فإذا وردت وصفاً لـــــ:

أشخاص: (رجل – امرأة – ولد) . دلَّت على الناحية الخلقية

مهن (طبيب -معلم – مهني) دلَّت على التفوق في العمل والأداء الممتاز .

مقادير ومحسوسات: (ملح – دقيق – هواء – ماء) دلَّت على الصفاء والنقاء من الغش .

و من المؤكد أن ما ذكر لا ينطبق على أمثلة محددة وكلمات نادرة، إنما ينطبق على غالبية المفردات حين ترد في السياق، ويرجع هذا إلى أن طبيعة المعنى في المعجم تختلف عن طبيعته في السياق. ويشار في هذا الصدد إلى أن السياق اللغوي يوضح الكثير من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياساً لبيان الترادف أو الاشتراك أو العموم أو الخصوص أو الفروق.....الخ.

---

(١) د. نسيم عون، الألسنية محاضرات في علم الدلالة، ص١٥٩، دار الفارابي – بيـــروت، ط الأولى ٢٠٠٥م.

النمط الثاني: السياق العاطفي :Emotional context

هو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية – التي تفيد العموم –، ودلالتها العاطفية التي تفيد الخصوص–، فيحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيداً أو مبالغةً أو اعتدالاً . كما تكون طريقة الأداء الصوتية كافية لشحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية والعاطفية؛ كأن تنطق وكأنها تمثِّل معناها تمثيلاً حقيقياً. ولا يخفى ما للإشارات المصاحبة للكلام في هذا الصدد من أهمية في إبراز المعاني الانفعالية . ويتضح التعريف جيداً من خلال هذه الأمثلة الآتية:

أمثلة على السياق العاطفي:

أولاً: من ناحية طبيعة استعمال الكلمة في دلالتها الموضوعية العامة ودلالتها العاطفية الخاصة:

كلمتا جهاد ونضال، كلمتان مترادفتان إلَّا أنهما تختلفان عند حدود استعمالهما لأن كلَّ مستعمل له انتماء فكري ينحاز له فكرياً وعاطفياً؛ فلكلِّ جمهور نزعة عاطفية تجاه كلمة من الكلمات مع أنها تشترك أو ترادف كلمة أخرى في عموم الموضوع إلا أن لكلِّ كلمة خصوصيتها وجمهورها الذي يحتوي على تجاه فكري معين فكلمة ((جهاد)) يستخدمها الإسلامي بينما كلمة))نضال)) يستخدمها العلماني.

وهكذا نرى أن في استخدام لفظتي استغلال واستثمار تبايناً، فالأولى تحمل قيماً أسلوبية سلبية في حين الثانية إيجابية. بالرغم من أنهما مترادفان،فالأولى تشير إلى أخذ غلة والثانية أخذ ثمرةً.

وهكذا أيضاً لفظة ((كلب)) وما تحمله من قيم عاطفية متباينة. فعند الطفل هو لعبة، وعند المرأة التي تصلي هو نجس، وعند الفتاة هو الذي يشكل الخوف من نباحه، وعند الصياد هو الفرح الأكبر بحفلة الصيد. وهكذا فمستخدم هذه اللفظة يسبغ عليها من عاطفته، عندما ترد على لسانه، محملة بما تفيض به نفسه من انفعالات.

ثانياً: من ناحية درجة القوة والضعف في الانفعال:

السياق العاطفي هو الذي يحدد درجة الانفعال قوةً وضعفاً، فالكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية ترد حين يكون الحديث عن أمر فيه غضب وشدة انفعال . فالمتكلم، في هكذا حالة من الشعور الجامح، يغالي في استخدام كلمات ذات شحنة عاطفية كبيرة، ومعانٍ مغالية لا يقصد معناها الحقيقي. فالذين يتعاركون((يتذابحون)) أو ((يقتلون)) بعضهم بعضاً. فمستخدم هذه الكلمات لا يقصد معانيها الحقيقية، وتكون محملة بما يعتمل في داخله من غضب وانفعال أو انشراح وسرور

ثالثاً: من ناحية طريقة الأداء الصوتي:

طريقة الأداء الصوتي لها دور فعال في شحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية والعاطفية، كأن تُنْطَق الكلمة وكأنها تمثل معناها تمثيلاً حقيقياً. ولا يخفى ما للإشارات المصاحبة للكلام في هذا الصدد من أهمية في إبراز المعاني الانفعالية

النمط الثالث: سياق الموقف Situational context:

يدل هذا السياق على العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام. وقد أشار اللغويون العرب القدامى إلى هذا السياق، كما عبَّر عنه البلاغيون بمصطلح ((المقام)) وقد غدت كلمتهم))لكلِّ مقام مقال)) مثلاً مشهوراً. ويرى الدكتور تمَّام حسَّان أنَّ ما صاغه مالينوفسكي تحت عنوان Context of situation سبقه إليه العرب الذين عرفوا هذا المفهوم قبله بألف سنة أو ما فوقها. لكنَّ كتب هؤلاء لم تجد من الدعاية على المستوى العلمي ما وجده مصطلح مالينوفسكي من تلك الدعاية بسبب انتشار نفوذ العالم الغربي في كلِّ الاتجاهات

إن مراعاة المقام تجعل المتكلم يعدل عن استعمال الكلمات التي تنطبق على الحالة التي يصادفها خوفاً أو تأدباً. بل قد يضطر المتكلم إلى العدول عن الاستعمال الحقيقي للكلمات فيلجأ إلى التلميح دون التصريح.

وإن ما يؤديه المقام للمعنى من تحديد ومناسبة ظرفية، يتطلب الباحث الإلمام بالمعطيات الاجتماعية التي يجري الكلام فيها.

أمثلة على سياق الموقف:

إن أصدق أمثلة نستطيع أن نضربها في هذا الصدد هذين المثلين:

الأول :ما ورد في قضية التحكيم المشهورة من قول الخوارج: ((لا حكم إلا لله ((،

فكم كان هذا القول براقاً وجذاباً؛ ولكن كان رد الإمام علي كرم الله وجهه حول هذه المقولة والشعار عكس الظاهر فكان قوله : ((كلمة حقٍّ يراد بها باطل)) لقد أراد الإمام بذلك أنَّ هتاف الخوارج كلام ديني صحيح لكنَّ المقام هو إلزام سياسي.
الثاني: ما ورد على لسان الأحنف بن قيس حين سأل معاوية بن أبي سفيان عن رأيه في أخذ البيعة بولاية العهد ليزيد ولده مع أنه لم يكن محمود السيرة في الناس، فقال الأحنف قولته الشهيرة: ((أخاف الله إن كذبت، وأخافكم إن صدقت)) ، فكانت كنايته أبلغ من التصريح وأقدر على أداء المعنى من التوضيح.
النمط الرابع: السياق الثقافي Cultural context (١) :.

ينفرد هذا السياق بدور مستقل عن سياق الموقف الذي يقصد به عادة المقام من خلال المعطيات الاجتماعية. لكنَّ هذا لا ينفي دخول السياق الثقافي ضمن معطيات المقام عموماً. ويظهر السياق الثقافي في استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي محدّد.

أمثلة على السياق الثقافي:

أولاً: ظهور السياق الثقافي من ناحية استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي محدّد:

فالمثقف العربي المعاصر عندما يريد أن يعبر بكلمة تدل على امرأته يقول ((زوجة)) أو ((مدام)) ، بينما نجد الرجل العادي البسيط يستخدم كلمة : ((مَرَه)) ، على حين يستخدم الرجل المتدين كلمة: ((حرمة)) و ((حريم)) . فالسياق الثقافي له دور كبير في تحديد الدلالة المقصودة من الكلمة أو المفردة التي تستخدم استخداماً عاماً.

ثانياً: يحدّد السياق الثقافي الدلالة المقصودة من الكلمة التي تستخدم استخداماًعاماً:

فاستعمال كلمة ((الصَّرف)) لدى دارسي العربية يعني مباشرة أنّ المقصود هو علم الصرف الذي تعرف به أحوال الكلمة العربية من اشتقاق وتغيير وزيادة ونحو

---

(١) علم الدلالة ، أحمد مختار عمر، (بتصرف)

ذلك. على حين أنَّ دارسي الهندسة وطلابها يحدِّدون دلالة)) الصَّرف)) عندهم بأنها مصطلح آخر هو))الرِّي .((وهكذا يتحدّث هؤلاء عن ((الرِّي والصَّرف)) دون أن يشعروا بأيّ التباس أمام استخدام دارسي العربية الذين يتحدّثون عن ((النَّحو والصَّرف)). أمَّا إذا استعملت كلمة الصَّرف)) في قطاع المال والتجارة، فإنّ لها دلالة أخرى تشير إلى تحويل العملة النقدية من الجمود والكمون – في الحساب المصرفي مثلاً – إلى التداول الفعلي، أو تحويل العملة من فئة إلى فئة، أو من نقد إلىآخر.

ثالثاً: ارتباط الكلمة بثقافة معينة لتكون علامة لانتماء عرقي أو ديني أو سياسي: استخدام كلمة ((فتح)) للدلالة على حرب وكسب الأرض، لا يساوق بحال من الأحوال استخدام كلمة ((احتلال)) أو((غزو مسلح))،لأنَّ كلمة ((فتح ((لها دلالة ثقافية تاريخية إيجابية. كما أنَّ استخدام كلمة ((المجاهد ((لا يتطابق دائماً مع كلمة ((المناضل)) أو((المقاتل)) أو((الفدائي)) أو))الإرهابي)) أو ((الانتحاري))، لأنَّ لكلٍّ كلمة من هذه الكلمات ظلال ثقافية ذات ارتباط بالتاريخ أو الدين أو السياسة.

رابعاً: ارتباط السياق الثقافي بالترجمة:

للسياق الثقافي أهمية بارزة في الترجمة، إذ تتطلَّب مقتضيات الفهم الصحيح والدِّقّة العلمية أن يلَّم المترجم بالسياق الثقافي للنِّصّ المترجم لكي ينقل مضمونه إلى اللغة الأخرى بكلمات موازية من حيث الارتباط بالسياق. ولا يمكن حين التَّصدِّي لترجمة الكلمات التي تعبِّر عن عقائد أو مذاهب سياسيّة الاقتصار على الدلالة المعجمية التي ربّما تكون مضلِّلة للمترجم الذي لم يتوسَّع في احتساب المعاني الهامشية المستمدة من السياق الثقافي.

٦-مميزات المنهج السياقي:-

لعل أهم الميزات التي يتمتع بها المنهج السياقي هي الآتية:

١- أنه- على حد تعبير ألمان- يجعل المعنى سهل الانقياد للملاحظة والتحليل الموضوعي(٢٤) ، وعلى حد تعبير فيرث أنه يبعد عن فحص الحالات

العقلية الداخلية التي تعد لغزاً مهما حاولنا تفسيرها، ويعالج الكلمات باعتبارها أحداثاً وأفعال وعادات تقبل الموضوعية والملاحظ في حياة الجماعة المحيطة بنا

٢- أنه لم يخرج في تحليله اللغوي عن دائرة اللغة، و إن نجا من النقد الموجه إلى جميع المناهج السابقة (الإشاري – التصوري – السلوكي)، وهو النقد الذي عبر عنه Leech بقوله : ((مشكلةاتجاهات أوجدن وريتشاردز وبلومفيلد في دراسة المعنى أن كلا منهم حاول شرح السيمانتيك على ضوء متطلبات علمية أخرى ((، وقوله : ((إن البحث عن تفسير للظاهرة اللغوية خارج إطار اللغة يشبه البحث عن منفذ للخروج من حجرة ليس لها نوافذ ولا أبواب. المطلوب منا أن نقنع بتقصي ما هو موجود داخل الحجرة، أي أن ندرس العلاقات داخل اللغة))

الخاتمة :-

يمكن أن نقرر على هدَى مما سبق عرضه :أن فهم النص دوَّار مع السياق، وأن له فيه قسطاً من التحكم، بخاصة إذا لم تزاحمه قرينة أخرى نصبها صاحب النص دليلاً على المعنى المراد، الذي هو أعلم به ، وقد عُني كثير من المفسرين بالسياق، ورعوه حق رعايته، وأنزلوه منزلته ، و المجالات التي يستحضر فيها السياق كثيرة ، فهو يعين على ترجيح المحتملات، وبيان المجملات، وفى تحديد عود الضمير، وفى القراءات، وله حضور عند تنقيح التفسير من الدخيل والإسرائيليات..... الخ

فهرس المصادر والمراجع

١-نظرية النظم عند عبد القاهر مجلة كلية اللغة العربية عدد٩
٢- إحصاء العلوم.- الفارابي ، أبو نصر محمد بن طرخان (ت: ٣٩"هـ/٩٥٠م) القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية، ط١٩٦٨,٣ م.
٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها عبد الرحمن السيوطي تحقيق محمد أحمد المولى " دار احياء الكتب العربيه "
٤- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل بيروت.
٥- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع لأبي محمد القاسم الأنصاري السجلماسي تحقيق وتقديم: علال الغازي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط / المغرب، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٠م.
٦-الأسلوبية والنص الأدبي ، حسين بو حسون ، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢
٧- الرسالة ، الإمام الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي(المتوفى: ٢٠٤هـ) تحقيق:أحمد شاكر الناشر، مكتبه الحلبي، مصر الطبعة :الأولى ١٩٤٠م
٨- الأصول في الفقه ، السرخسي محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ) دار المعرفة – بيروت.
٩- علم الدلالة،تأليف: أحمد مختار عمر: أستاذ علم اللغة في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، الناشر عالم الكتاب ، الطبعة الثانية .
١٠- مبادئ اللسانيات، ص٢٩٥، د. أحمد محمد قدور ، دار الفكر – دمشق، ط الثانية ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م
١١- دلائل الإعجاز : أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ج١ تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر. مكتبة الخانجي